نور الشام



دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية
السنة الرابعة
ذو القعدة ١٤٣٦هـ الموافق سبتمبر 2015 م
www.islamicsham.org
/ islamicsham1 / islamicsham

العدد: ٣٦

في هذا العدد:

نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم.. للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم
contact@islamicsham.org

افتتاحية العدد:

لتزول منه الجبال

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى بيَّن في كتابه الكريم مكر الأعداء بعباده المؤمنين في كل أمة وقوم على مدى التاريخ، فقال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

ولأهل الباطل طرق متنوعة في المكر غير القتال، يتوسلون بها إلى إسقاط أهل الحق أو فضِّ الناس عنهم، ومن ذلك:

- رمي أهل الصلاح بالفساد، كما قال فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

- وتارة يزينون الباطل بإفراغ الحق من مضمونه، فيغالطون الحق، ويقلبون الحقائق، قال تعالى عن قوم شعيب: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

أو يقلبون الحقائق لتصبح الفضائل في أعين الناس رذئل، قال تعالى عن قوم لوط: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

- ويسلكون لتشويه دعوة الحق مسالك شتى، فيرمونها بأنها:

سحر: قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

أو أنها من الأساطير الشائعة، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

أو أنها من أعراض الجنون، أو مس الشياطين: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

أو محض كذب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

- مع السخرية والاستهزاء لتحقير أهل الحق في أعين الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

- كما يلجؤون إلى تخويف المجتمعات بأهم مقوماتها وهو الأمن فيصفون هذه الدعوات بأنها ستتسبب بزعزعة أمن المجتمع واستقراره، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

- وتارة يلجؤون للمساومات والمفاوضات لاستدراج أهل الحق بالتنازلات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن قريشا وعدوا الرسول ﷺ أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطؤوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكفَّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة...» رواه ابن أبي حاتم في التفسير، والطبري في جامع البيان.

- مع الترغيب، فقد أرسلت قريش عتبة بن ربيعة ليعرض على النبي ﷺ: (إن كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوَّدناك (أي جعلناك سيداً - علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً) من الجن - تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ» ذكره ابن هشام في سيرته.

- والترهيب: «فقد كان أبو جهل إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنَّبه وأخزاه، وقال له: تركت دين أبيك وهو خير منك ! لنسفهن حلمك ولنضعفن رأيك ولنضعن شرفك. وإن كان تاجراً قال له: لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك. وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به » ذكره ابن هشام في سيرته.

لكن غاب عن جميع هؤلاء أنَّ مآل مكرهم الخسران والبطلان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢].

على أن يأخذ أهل الحق بسنن الله تعالى في النصر والتمكين، والاعتصام بدينه القويم، وجماعة المسلمين، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

كيف نتعامل مع تنظيم (الدّولة) في المناطق التي يسيطر عليها؟

المكتب العلمي ـ هيئة الشام الإسلامية

السؤال:

مشايخنا الأفاضل: نحن نعيش في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم (الدولة)، ونريد الاستفسار عن حكم التعامل معهم في مختلف الأمور، مثل: الصلاة وراءهم، والدعاء لهم، والتأمين على دعائهم، والصلاة على موتاهم، وحضور دوراتهم الشرعية، والقتال معهم، ودفع الزكاة إليهم، وتزويجهم أو الزواج منهم، والتخاصم إلى محاكمهم، وغير ذلك من المعاملات. أفتونا مأجورين، وجزاكم الله خيرًا..

الجواب:

الحمدُ للهِ، والصّلاةُ والسّلامُ على رسولِ الله، وبعدُ:

فالأصلُ في التّعامل مع تنظيم (الدّولة) المدافعةُ والمجانبةُ والحذرُ؛ لجمعِه بين الغلوّ والإجرام، ومَن ابتُلي بالعيش تحت حكمهم فعليه أنْ يكونَ على بيِّنةٍ مِن أمره في أحكام التّعامل معهم، وذلك بحسب وُسعه واستطاعتِه دونَ أن يعرّضَ نفسَه لما لا يطيق مِن بطشهم، وبيانُ ذلك فيما يلي:

أولاً: ثبت بالأدلّة الظّاهرة الواضحة أنّ تنظيمَ (الدّولة) جماعةٌ منحرفةٌ، جمعت بين الغلوِّ والإجرام، فخوّنتْ مَن لم يوافقها، وحكمتْ بكُفرهم وردَّتهم، وسفكت دماءَهم، وطعنتْ في أعراضهم، واستباحت أموالَهم، حتى بات خطرُها على المسلمين عمومًا والمجاهدين والدّعاةِ خصوصًا لا يقلُّ عن خطر النّظام المجرم، وحلفائه المعتدين.

وقد صدرت عدّةُ فتاوى توضّح ضلالَهم وخطرَهم، ومِن ذلك: فتوى (هل تنظيمُ الدّولة الإسلامية مِن الخوارج؟)، وفتوى (هل القتال القائم بين الكتائب المجاهدة وتنظيم الدّولة قتالُ فتنة؟).

فمَن خشي على نفسه أو دينه منهم، فعليه السّعيُ في الخروج مِن مناطقهم، ومَن لم يمكنه الخروجُ، أو رجا أنْ يكون في بقائه منفعةٌ للنّاس، فلا حرجَ في بقائه، مع الحيطة والحذر.

ثانياً: الواجبُ تجاه أفراد التّنظيم تركُ مجالستهم، والبُعد عن مخالطتِهم ما أمكن؛ لشدّة ضلالهم، وهدمِهم لأصول الدّين، ومقاصده الكلية، مع حرصِهم البالغ على نشر باطلِهم، وترويج شبهاتهم، وإلزام النّاسِ بها، ولا يتورّعون في سبيل ذلك عن التّلبيس والتّدليس والكذب، فيُخشى على مَن جالسهم أن يُفسدوا عليه دينَه ودنياه.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: «لا تُجالسْ أهلَ الأهواء؛ فإنّ مجالستَهم مَمْرَضةٌ للقلوبِ» أخرجه الآجرّي في الشّريعة، وابن بطّة في الإبانة.

وقال أبو قِلابة: «لا تُجالسوا أهلَ الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإنّي لا آمنُ أنْ يغمسوكم في الضّلالة، أو يَلْبِسوا عليكم في الدّينِ بعضَ ما لُبِّس عليهم» أخرجه الآجري في الشّريعة، وابن بطة في الإبانة.

وقد أجاز أهلُ العلم الجلوسَ مع أهل البدع للدّعوة والمناظرة لـمَن كان أهلًا لذلك، لكن ينبَغي لـمَن أراد دعوتَهم أنْ يكون حذرًا حكيمًا، وأنْ يُدرك خطرَ ما هو مُقدمٌ عليه؛ فإنّهم لا يرقبون في مخالفهم إلًّا ولا ذمّةً، ولا يحفظون عهدًا ولا وعدًا.

ثالثاً: لا يجوز حضورُ الدّورات «الشّرعية» التي يقيمها تنظيمُ (الدّولة)، ولا الدّروسِ التي يعقدونها، ولا الانتسابُ للمعاهد والمدارس الشّرعية التي يُشرفون عليها؛ لما في ذلك مِن تعليم للبدعة، وتحريفٍ للدّين، وتزيين للباطل، وإسقاط لحرمة دماء المسلمين وأموالهم.

كما أنَّ العلمَ الشرعيَّ دينٌ، فلاً يؤخذ إلا ممّن استقام منهجُه، وصحّت طريقته.

عن أبي أميةَ الجُمَحي رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (إنّ مِن أشراط السّاعة أنْ يُلتمس العلمُ عند الأصاغر) أخرجه ابنُ المبارك في الزّهد والرقائق، والطّبراني في المعجم الكبير. وقال ابنُ المبارك -كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السّنة»-: «الأصاغرُ مِن أهل البدع».

وقال الإمامُ مالك رحمه الله: «لا يؤخذ العلمُ مِن أربعة، ويؤخذ ممّن سوى ذلك؛ لا يؤخذ مِن رجلٍ صاحبِ هوىً يدعو النّاسَ إلى هواه..» أخرجه الخطيبُ في «الكفاية».

فمَن أُكره على حضور دروسهم، أو خشي على نفسه منهم إن هو تغيَّب عنها: فيجوز له حضورُها، ولْيحذرْ مما يُقال فيها، ويستفسرعما يُشكل عليه، وليسأل الله تعالى أنْ يعصمَ قلبَه مِن الأهواء والفتن.

رابعاً: ذهب جمهورُ أهلِ العلم إلى صحَّة الصّلاة خلفَ الفاسق والمبتدع -مع اتفاقهم على أنّه لا ينبغي تقديمُ هؤلاء لإمامة النّاس- فمَن صلّى خلف أفراد تنظيم (الدّولة) صحّت صلاتُه، ولا إعادةَ عليه.

روى البخاريُّ في صحيحه عن عُبيد الله بن عَدي بن خِيار: أنّه دخل على عثمانَ بن عفان رضي الله عنه وهو محصورٌ -أي محبوسٌ في داره في فتنة مقتله- فقال: « إنّك إمامُ عامّة، ونزل بك ما نرى، ويصلّي لنا إمامُ فتنة، ونتحرّجُ؟ فقال: الصّلاةُ أحسنُ ما يعمل النّاسُ، فإذا أحسن النّاسُ فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنبْ إساءتهم».

وقد بوّب البخاريُّ على هذا الأثر بقوله: (بابُ إمامةِ المفتون والمبتدع، وقال الحسن: «صلِّ وعليه بدعتُه»).

وقد كان ابنُ عمر رضي الله عنهما يصلّي خلفَ بعضِ أهل البدع مِن الخوارج وغيرهم، فلمّا عوتب في ذلك قال: « مَن قال: حيّ على الصّلاة أجبتُه، ومَن قال: حيّ على الفلاح أجبته، ومَن قال: حيّ على قتلِ أخيك المسلم وأخذِ ماله قلتُ: لا » أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء»، والبيهقي في «السنن الكبير».

ولا يجوز الدّعاءُ لهم بالنّصر على المجاهدين، أو التّمكين في الأرض؛ لمخالفته مقصودَ الشّارع في قتالهم واستئصالِ شرّهم، ولا مانعَ مِن التّأمين على دعائهم إذا كان عامًّا للمسلمين، ولا إثمَ فيه ولا اعتداء، ويُسكت عن غيره مِن الدّعاء بالباطل والعدوان.

أما الصّلاةُ على جنائزهم: فهي جائزةٌ ؛ لأنَّ الصّلاةَ على الميت مشروعةٌ طالما حكمنا بإسلامه، ولولا خوفُ الأذى والبطش لاستُحبّ لأهل العلم ووجهاء البلد أنْ يتركوا الصّلاةَ عليهم عقوبةً ونكالاً لهم، وزجرًا عن أفعالهم، وقد سبق تفصيلُ ذلك في فتوى (حكم تكفير تنظيم (الدّولة) ولعنهم وحُكم أسراهم وأموالهم).

خامساً: أما تولّي الأعمالِ أو المناصب لهم: فالأصلُ فيه المنعُ؛ لما فيه مِن إعانتهم على باطلهم، وتقوية شوكتهم، وتكثير سوادهم، إلا لمن علِم مِن نفسه أنّه يعين النّاسَ، ويؤدّي لهم حقوقَهم، ويخفّف عنهم الظّلمَ حسب استطاعته فيجوزُ له ذلك؛ لأنَّ تولّي مثلِ ذلك عند الحاكم الكافر جائزٌ، فيجوزُ هنا مِن باب أولى.

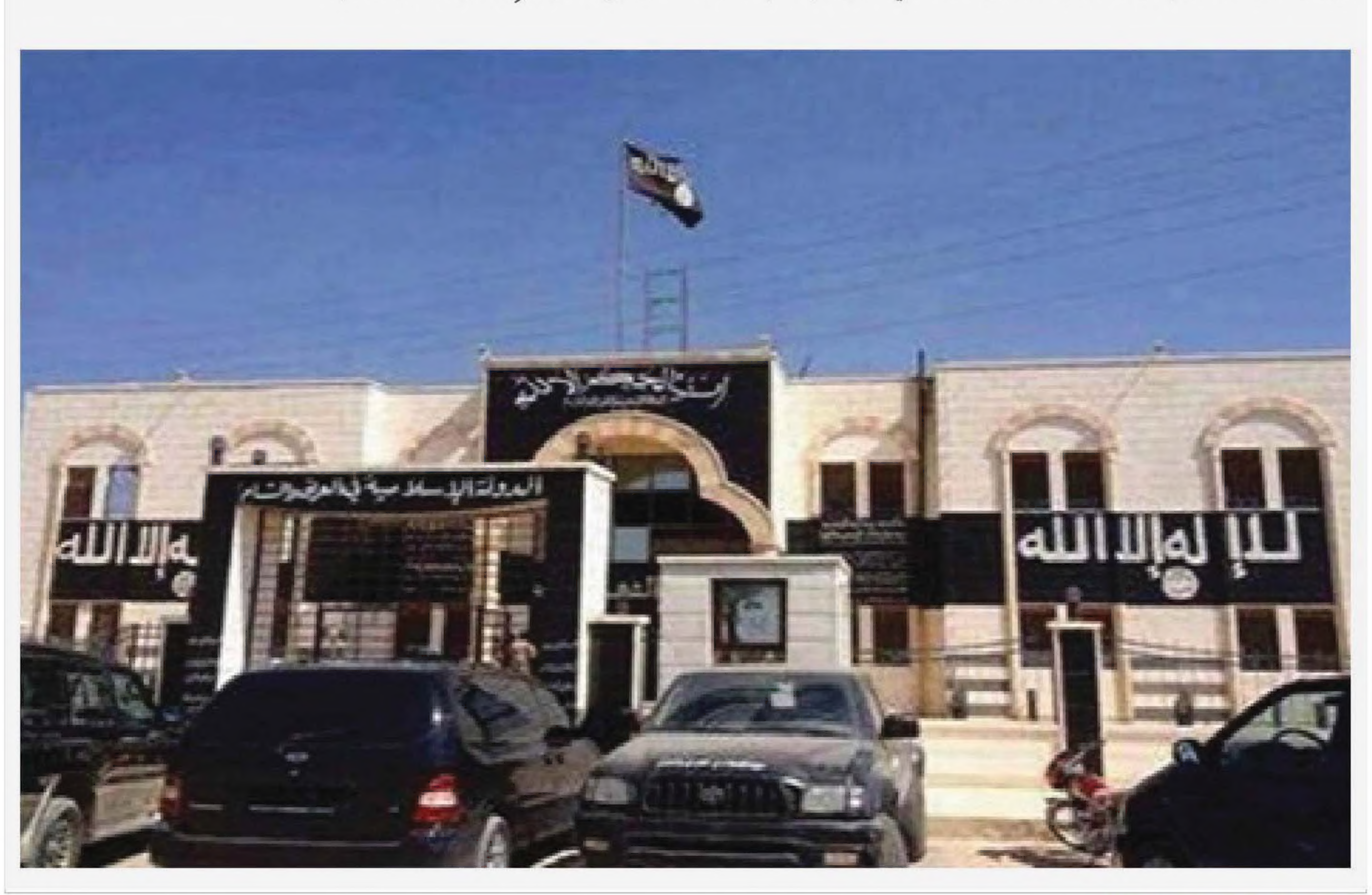
قال ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى»: «فمَن ولي ولايةً يقصد بها طاعةَ الله، وإقامةَ ما يمكنه مِن دينه، ومصالح المسلمين، وأقام فيها ما يمكنه مِن الواجبات، واجتناب ما يمكنه مِن المحرّمات؛ لم يؤاخَذ بما يعجزُ عنه؛ فإنّ توليةَ الأبرار خيرٌ للأمّة مِن تولية الفجّار».

سادساً: لا يجوز القتالُ إلى جانب تنظيم (الدّولة)؛ لأنَّ غالبَ قتالهم إنّما هو ضدّ المسلمين والمجاهدين، فهم كما وصفهم الرسولُ ﷺ: (يَقتلون أهلَ الإسلام، ويدَعون أهلَ الأوثان) متّفق عليه، وهم إنّما يقاتلون لإقامة خلافتهم المزعومة على الأرض التي يتمكنون منها.

ويُستثنى مِن ذلك القتالُ معهم لدفع ضررِ الصّائلين المعتدين على النّفس أو العِرض، ويَتجنّب مشاركتَهم فيما يخالفُون فيه الشّرعَ مِن أعمال القتال، ولا بدَّ مع ذلك مِن أخذ الحيطة والحذر مِن غدرهم وكذبهم ونقضِ للعهود مع المجاهدين وفي ساحات القتال، كما هو مشاهدٌ معروفٌ في السّاحات التي خرج فيها التّنظيم، لا سيما في العراق والشام.

سابعاً: لا يجوز دفعُ الزكّاة لتنظيم (الدّولة)؛ لما فيه مِن تقوية شوكتهم، وإعانتهم على البدعة والمعصيةِ والعدوان وقتالِ المسلمين، بل يجب التّحايلُ والتّهرّبُ مِن دفعها لهم قدرَ الإمكان، والاجتهادُ في إخراج الزكّاة إلى مستحقّيها مِن غير طريقهم.

فمَن أُجبر على دفعها لهم، أو خاف الضّررَ بالامتناع أجزأت عنهم على الرّاجح الأقوى مِن أقوال أهل العلم.





قال ابنُ قدامة في «المغني»: «إذا أخذ الخوارجُ والبغاةُ الزّكاةَ: أجزأتْ عن صاحبها».

ولا يجوز قَبولُ الزكّاةِ أو الأعطيات مِن التّنظيم؛ لأنّهم لا يتورّعون عن استباحة الأموال العامة والخاصّة، ومصادرتها دون وجه حقٍّ، إلا إنْ أخذها بنية الحفاظ عليها ورعايتها لأصحابها إنْ كان يعرفهم، أو صرفَها للفقراء والمحتاجين وإعانة المجاهدين إنْ كانت مجهولةَ المصدر، ويجوز أخذُ ما عُلم حِلّه وسلامتُه مِن النّهب والغصب، أو كان أجرةً على عملٍ أو وظيفة.

ثامناً: لا يجوز تزويجُ أفرادِ تنظيم (الدّولة) أو الزّواج منهم؛ لعدم الكفاءة في الدّين، فهم ليسوا أكفاءً لأهل السّنّة.

وقد قال النّبي ﷺ: (إذا أتاكم مَن ترضون خُلقَه ودينَه فزوّجوه، إلا تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريضٌ) رواه التّرمذي وابن ماجه. وأفراد تنظيم الدّولة غلاةٌ جفاةٌ، غيرُ مرضيّي الدّين، ولا المعتقد، ففي تزويجهم إضرارٌ بالزّوجة - والأولاد مستقبلاً- وربّما أفسد عليهم دينَهم.

كذلك لا ينبغي نكاحُ مَن كانت على مذهبهم مِن النساء؛ لما للزّوجة مِن تأثير على زوجها لا سيّما إذا تعلّق بها، ولَم يكن مِن أهلِ العلم والبصيرة، وربما استقوتْ عليه بالسُّلطة القائمة إذا حصل خلافٌ بينهما، ولا يخفى عظيمُ تأثير المرأةِ على أبنائها.

فإن وقع الزواجُ منهم على الرغم مِن ذلك: فالعقدُ صحيح.

ومِن مفاسد الزّواج مِن أفراد التّنظيم أنّه تكثر فيهم الألقابُ، ولا تُعرف أسماؤهم ولا أنسابهم، وقد يؤدّي هذا إلى ضياع الحقوق مِن إرثٍ ونحوه، أو جهلِ المحارم، فيكون المنعُ آكد.

تاسعاً: يجبُ على مَن كان تحت حكمهم حلُّ نزاعاتهم دونَ اللّجوء إلى محاكمهم؛ لما ثبت مِن جهلٍ وظلم قضاتهم، وإجراء أحكامهم القضائية على مذهبهم الفاسد. فإن لم يمكن تحصيلُ الحقوق، وفصلُ النّزاعات إلا بالتّرافع إليهم فيجوزُ، لأنّ النّاسَ محتاجون إلى تحصيل حقوقهم، وإذا كان التّحاكمُ إلى محاكم غير المسلمين جائزًا إذا لم يمكن تحصيلُ الحقّ إلا به، فجوازُ التّحاكم إلى هؤلاء مِن باب أولى.

وليحذر المتقاضي إلى محاكمِهم مِن أخذِ ما يحكم به قضاتُهم ممّا ليس له فيه حقٌّ، فعن أمّ سلمة رضي الله عنها، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: (إنّما أنا بشرٌ، وإنّه يأتيني الخصمُ، فلعلَّ بعضَكم أنْ يكون أبلغَ مِن بعض، فأحسبُ أنّه صدقَ، فأقضي له بذلك، فمَن قضيتُ له بحقِّ مُسلمٍ، فإنّما هي قَطعةٌ مِن النّار، فليأخذْها أو فلْيتركْها) متفقٌ عليه.

قال النّووي في «شرح مسلم»: «معناهُ: إنْ قضيتُ له بظاهرٍ يخالف الباطنَ فهو حرامٌ يؤول به إلى النّار. قوله ﷺ (فليحملْها أو يذرْها) ليس معناه التخيير، بل هو التّهديدُ والوعيد».

وأمّا ما تحكم به محاكمُهم مِن فسخ النّكاح بسبب (الرّدّة)، أو التحاق أحد الزّوجين بـما يسمونها (الصّحَوات): فهي أحكامٌ جائرةٌ باطلةٌ، لا يترتّب عليها شيءٌ مِن الآثار، ولا يحلّ الزواجُ ممّن حكمتْ عليه محاكمُهم بذلك.

وأخيرًا:

فما بيّنّاه مِن أحكام فيما سبق منوطٌ بالقدرة، فقد عُرف عن هؤلاء القوم الإجرامُ والبطشُ بمَن خالفهم، فمَن خاف أذاهم فليدارهم ما استطاع، وإن أكرهوه على شيءٍ مِن أقوالهم وأفعالهم الباطلة فله أنْ يأتي منها ما يدرأ عنه شرَّهم، إلى أنْ ييسر اللهُ له مخرجًا، فإنّ اللهَ يتجاوز عن المكرَه والمضطرِّ طالما كان منكرًا بقلبه، مطمئنًا بإيمانه، لكن لا يجوز له بحالٍ أن يعينَهم على المجاهدين، أو يدلَّ على عوراتهم، أو يدعو النّاسَ إلى ضلالاتهم.

نسألُ اللهَ أنْ يقيَنا شرَّ الأشرار، وكيدَ الفجّار، وشرَّ طوارقِ اللّيلِ والنّهار، وأن يصلحَ لنا دينَنا ودنيانا.

والحمد لله رب العالمين.

آراء وتحليـــــلات

الثورة السورية تتحدى

د. عبد المجيد البيانوني

لم يكن أحد من السوريّين الثائرين على هذا النظام، من شباب، وسياسيّين، وعسكريّين، ومفكّرين يتصوّرون بوضوح مدى التصاق رأس هذا النظام المجرم، القابع في دمشق بالنظام العالميّ، وكان قصارى الظنّ به أنّه عميل من جملة العملاء، وأجير من الأجراء، عندما ينتهي دوره يتخلّى عنه أسياده أسوة بغيره، ويلقون به إلى مزبلة التاريخ..

ولكنّ الواقع أثبت أنّه جزء من النظام العالميّ لا يتجزّأ، وركن منه ركين.. فهو بلا شكّ سيستميت في دعمه وتأييده، وخذلان الثائرين عليه إلى أبعد مدى..

ومن هنا فإنّ انتصار الثورة السوريّة سيخلخل النظام العالميّ كلّه، ويحدث زلزلة كبرى في مخطّطاته، تجعله يعيد النظر في استراتيجيّته وأساليب عمله..

ويومًا بعد يوم تتّضح لنا الصورة أكثر: إرادة عالميّة مجمعة ومصرّة على ألاّ تنتصر هذه الثورة.. تتنوّع أساليبهم، وتتوزّع الأدوار بينهم، وتختلف مواقفهم في ظاهر الأمر وتصريحاتهم.. ولكنّها تتّفق كلّها على هدف واحد، تخطّط له تلك الإرادة العالميّة، في أوكارها القذرة، وبكلّ مكر ودهاء، وتعمل له بكلّ قوّة سرًّا وجهرًا، علينا ومع عدوّنا.. هو ألاّ تنتصر هذه الثورة، وألاّ يسقط هذا المجرم ونظامه.. لأنّه بكلّ وضوح جزء من نظامهم الخبيث، وأداة من أدواته، بل وركن من أركانه.. وإنّ مَثَل هذا النظام منهم كمثل آلة القتل في يد القاتل.. فهل تحاسب آلة القتل أم يد القاتل.؟

الرؤية الصحيحة لمحطّات الطرح السياسيّ، بعيدًا عن الغبش والتشويش: فمنذ أن قامت الثورة السوريّة وإلى يومنا هذا وقف الغرب منها مواقف متذبذبةً، من خلال تصريحاته الداعمة بالكلام للثورة، إلى التشكيك بنجاحها، والتخوّف من عواقبها، إلى التعلّل بتفرّق المعارضة، وعدم اجتماع كلمتها، لتبرير عدم دعمها، إلى الدعوة السخيفة للطاغية أن يتنحّى، وهم يعلمون أنّه يعضّ على كرسيّه أكثر ممّا يعضّ الكلب العقور على فريسته..

ثمّ ظهر المجلس الوطنيّ ممثّلًا للمعارضة، فلم يلق له الغرب بالًا، بحجّة أنّه لا يجمع المعارضة كلّها.. واشتدّ عود الثورة على الأرض، وقطع الثوّار الشوك بأيديهم، وتطلّعوا إلى شيء من الدعم الخارجيّ، يتناسب مع التصريحات الخلّبيّة التي يسمعونها، فلم يرجعوا من ذلك بطائل.. وبالغ النظام في إجرامه الممنهج، تحت سمع العالم وبصره، فلم يسمع إلاّ أقلّ القليل من النكير..

وقامت سوق المبادرات عربيّة ودوليّة، واحدة بعد أخرى، ولم تكن كلّها إلاّ ذرًّا للرماد في العيون، وبالونات اختبار لإرادة الشعب: هل يقبل المساومة على ثورته بشيء من أنصاف الحلول.؟ وهل ملّ البذل والتضحيات.؟ وهل ندم على ما أقدم عليه.؟

وتوجّه سيل الاتّهامات إلى المجلس الوطنيّ بالحقّ وبالباطل، والقصد الأوّل والآخر ليّ الذراع، وكسر سقف المطالب، واتّضحت مواقف المجلس الوطنيّ أنّها لن تتخلّى عن مطالب الشعب، فأعلن الغرب بكلّ صفاقة عن رفضه لهذا المجلس، والسعي إلى العمل مع بديل عنه..

وظهر «الائتلاف» بين عشيّة وضحاها، وسلّطت عليه أضواء الإعلام، وأحيط بالوعود والأحلام، وتزامن مع ظهوره حديث الغرب عن «جبهة النصرة»، وتصنيفها مع المنظّمات الإرهابيّة، وكان أوّل اختبار للائتلاف، لاستجراره للدخول في خصومة مع الثائرين على الأرض.. ونجح الائتلاف وسقط الغرب.. كما أعلن الثوّار بكل أطيافهم واتّجاهاتهم، والمنظّمات المؤيّدة للثورة وقوفهم مع «جبهة النصرة»، ودفاعهم عنها، وأخذت تتبخّر الوعود والأحلام، وخبا بريق الائتلاف أسرع من بريق المجلس الوطنيّ..

وكلّ ذلك يؤكّد بما لا يدع مجالًا للشكّ أن الغرب لا يريد لهذا النظام المجرم أن يسقط، ويعمل بكلّ ما أوتي من قوّة لإجهاض هذه الثورة.. فهل وعينا هذا المكر الغربيّ.؟! وماذا أعددنا له.؟!

إنّ شعبنا بكلّ مدنه وقراه، وأريافه وأطيافه، قد حزم أمره، وأمضى عزمه: ألاّ تراجع عن هذه الثورة: «ننتصر أو نموت، وأعلن بكلّ إيمان وقوّة يقين: « يا الله! ما لنا غيرك يا الله! »، وجعل شعاره في كلّ حركة: «الله أكبر «!

فهل يكفي ذلك.؟ إنّه ولا شكّ خير كبير، وعدّة للنصر عظيمة، ولكنّها غير كافية.. فلا بدّ مع كلّ ذلك من اجتماع الكلمة، وحسن التخطيط، وحشد الطاقات، وإحكام الأسباب، وإدخال البعد الإسلاميّ بقوّة، ما دام عدوّنا يدعمه النظام العالميّ ويؤيّده، ويمدّه بأسباب القتل والتدمير..

ولن تبلغ عندئذ قوى المكر كلّها أن تكون بوزن هباءة أمام قوّة الله وتأييده، و: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أيّها العالم من شرقه إلى غربه، بعجمه وعربه.. الثورة السوريّة تتحدّى.. ليس تحدّيات فارغة، كتحدّيات النظام العفن لإسرائيل، ولكنّها تحدّيات بقوّة الله جلّ وعلا، بقوّة الحقّ الذي تؤمن به، وتدافع عنه، بقوّة الوعد النبويّ الصادق، للطائفة القائمة على الحقّ أنّها منصورة بإذن الله، بوعد الله لجنده ورسله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧].



المشروع الإسلامي

بين الشعارات والواقعية (*)

عباس شريفة



أن ترفع شعارات الشريعة وترتكب كل ما يخالفه تحت هذه الشعارات، فإن هذا كفيل بكسب تأييد كثير من الإسلامين وجذب عواطف العوام.

وفي الجانب الآخر أن تضع تحت شعارات الليبرالية كل ما يناقضه ولكن المهم أن تقول عن نفسك ليبرالي حتى يتقبلك كثير من الليبرالين فلن تستطيع خداعهم.

إن عقد الولاء والبراء على الشعارات صار سمة عامة للتيارات كلها، حتى وصلنا اليوم إلى ظاهرة غريبة ظاهرة التيارات القائمة على الشعارات فقط.

لم يعد الإسلامي إسلاميًا، ولا الليبرالي ليبراليًا، بعيدًا عن تقييم الأفكار لهذه التيارات ولكن فقط من ناحية موافقة هذه التيارات لأدبياتهم.

ظل البعثيون خمسين عامًا يرفعون شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية، وهم أكثر من أجرم بحق الحرية والوحدة والاشتراكية.

كما تقوم داعش اليوم بالتترس بشعارات إقامة الشريعة والدولة الإسلامية، وهي أكثر من يجرم بحق الشريعة الإسلامية، ويشوه نموذج الحكم الإسلامي.

ظاهرة الباطنيين الجدد صارت ملفتة في الساحة الشامية عند من يغلفون مآربهم السياسية وشهواتهم النفسية بأغلفة الشريعة وتمر بغفلة الشعب المسكين.

فطن الغرب لهذا الانفصام بين الشعارات والسلوكيات لدى هذه التيارات؛ لذلك يسعى لإسقاط أردوغان (الليبرالي) ويسعى للحفاظ على المارقة (الإسلامية).

الغرب يحارب أصحاب الشعارات الإسلامية بالقوة الخشنة، ويدعمهم بالقوة الناعمة، ويحاربه أصحاب الشعارات الليبرالية بالقوة الناعمة.

البعض يقول: إن الغرب يريد تشويه مفاهيم إسلامية من خلال المارقة (الجهاد-الشريعة-الدولة-الإسلامية) والحقيقة هو يريد تزيين المشوه عند المسلمين

لن يطول اعتياش هذه التيارات على شعاراتها؛ لأن الفورة العاطفية للشعوب سريعة البرود، ليعود الشعب يفكر بمقومات حياته، حينها سينقلب على المخادعين.

عنّف النبي ﷺ معاذ بن جبل لإطالته في الصلاة خشية أن يوقع الناس بالفتنة بترك الجماعة، فكيف بمن يطيل عليهم الصراع والقتال.

الشعوب لا تذكر المعروف العابر إذا كثر الغرم بسبب مشاريع الإسلاميين، وسرعان ما تنقلب عليهم وترضى بأي حل يطرح للحفاظ على مقومات حياتها.

المزايدات بين أبناء التيار الإسلامي في تحديد السقف يشبه حال من يرفع طوابق البناء على شفا جرف هار، كلما ارتفع بالبناء سيكون السقوط محتمًا ومفجعًا.

المجاملة على حساب الحقيقة في التيار الإسلامي الحركي أزرت بهم حتى يكادوا أن يشابهوا بعض الصوفية (إذا رأيت شيخك على المعصية فاقتلع عينك).

عندما تأمّن الأمة حفظ الوجود ترتقي إلى صراع المطالب، ثم إلى صراع المشاريع والمبادئ، فمن الحماقة أن نخوض صراع مشاريع ونحن مهددون بوجودنا.

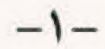
الغرب بعد أن أدرك الخارطة الذهنية للتيارات الجهادية بات من السهل عليه استدراج هذه التنظيمات الجهادية إلى حروب الوكالة من حيث لا تدري.

(*) باختصار

الشعب السوري وجهًا لوجه مع إيران

مجاهد مأمون ديرانية




-١-

سقط القناع. قبل عام فاوض الإيرانيون ثوارَ حمص القديمة المحاصَرة، وتم الاتفاق بين الطرفين على صفقة الخروج الآمن للمقاتلين مقابل حفنة من الأسرى الإيرانيين. كان الإيرانيون يومَها على درجة كبيرة من الرقّة والدماثة فسمحوا لممثّلي النظام السوري بحضور جلسات المفاوضات، لحفظ الحد الأدنى من ماء الوجه، باعتبار أن النظام هو مَن يحكم سوريا في الظاهر. اليومَ تبخّر الحدُّ الأدنى من ماء وجه النظام وسقط القناع عن الوجه الإيراني الخبيث.

-٢-

لم يجد الإيرانيون حاجة للتواري خلف النظام هذه المرة، فقادوا المفاوضات بأنفسهم. إيران التي تملك قوة عسكرية ضاربة وتملك السلاح النووي وتملك الثروة الهائلة، وتملك مع ذلك كله تراثَ ثلاثة آلاف عام من الخبث والدهاء الفارسي، إيران هذه لم تشكّ في نتيجة المفاوضات، فقدّمت عرضَ «استسلام مُهين» وظنّت أن المفاوضين سيوافقون عليه لا محالة. وكيف لا يفعلون وألفٌ من كرام المجاهدين وعشراتُ الآلاف من المدنيين العُزل أسارى في الزبداني ومضايا ومعرَّضون للهلاك؟

هتف أبطال الزبداني وهتف أحرار سوريا هتافَ الثورة الذي تردّد صداه في أروقة الزمان، الهتاف الخالد الذي ستنقله الأجيال للأجيال: «الموت ولا المذلة». جُنَّت إيران وجُنَّ النظام، وذهب الجبناء يستعرضون قوتهم على الضعفاء بعد إذا عجزوا عن منازلة الأقوياء. ما الذي أثار النظام وإيران وماذا كانوا يريدون؟

-٣-

يبدو أن سوريا بدأت بدفع ضريبة الاتفاق النووي المشؤوم. لم تعد إيران مضطرة للاستتار ولن تواجه مشكلة بعد اليوم في إظهار الحقيقة: «نحن نحكم سوريا كما نحكم لبنان والعراق». لم تفاوض إيران باسم النظام هذه المرة، بل كان خطابُها واضحًا ومباشرًا: «نحن نعطي ونحن نأخذ، نحن نخطط ونحن نريد». إيران تصرّ على انتزاع ورقة الضغط الكبيرة التي يملكها الثوار في الشمال: الفوعة وكفريا. الصفقة: مدينةٌ بمدينة ومدنيون بمدنيين، البلدتان المحاصَرتانَ مقابل الزبداني ومضايا، ثمانية وعشرون ألفًا من شبيحة البلدتين مقابل ألف مجاهد وعشرات الآلاف من المدنيين.

-٤-

لماذا تستميت إيران في إنهاء الصفقة؟ لأن عددًا (غير معروف) من عناصرها وعناصر الحزب عالقون في حصار الفوعة، ولأنها تريد أن تُنهي هذا الملف المزعج لتتفرغ للخطة التي بدأت بها من الزبداني ولن تنهيها إلا في دوما: استرجاع الريف الدمشقي كله، القضاء على الجيوب المتمردة وإعادتها إلى سلطان النظام.

ما هي فرصة إيران في إنجاز هذه الخطة؟ إنها فرصةٌ كبيرة جدًا إذا لبثنا ساكنين ساكتين، كلٌّ ينتظر دورَه ليؤكَل منفردًا. وهي فرصة ضئيلة إذا تحركت الجبهات في معظم أنحاء سوريا، وفي جميع مناطق الريف الدمشقي على الخصوص، إذا تحركت معًا في وقت واحد، وهذا أمر ممكن رغم ما تكتنفه من صعاب.

-٥-

لماذا يُقال هذا كله في مقالة عامة؟ لأن من حق السوريين أن يعرفوا ليقرروا وليدفعوا ضريبة القرار. نحن أمام خيار تاريخي: إما الاستسلام وضياع الثورة وسقوط المناطق المحاصَرة واحدةً بعد واحدة في وقت قصير لا قدّر الله، أو التحرك السريع لإنقاذ الثورة والدفاع عن الأراضي المحررة.

إذا اخترنا الطريق الأول فسوف نعود إلى سجن النظام الكبير أذلّةً مكسورين، وسوف ينتقي من بيننا المجاهدين والمعارضين فيُفنيهم في السجون، ثم يصبّ حقدَه على الباقين فيَسقيهم كؤوس الهوان، فهي خسارة الدهر، وهي هزيمة لن نتعافى منها في خمسين سنة! أما إذا اخترنا الصمود والقتال دفاعًا عن الدم والعرض والأرض والكرامة والحرية والشرف فإننا سندفع ثمنًا غاليًا، فإن التحالف الشيطاني (الأسدي الإيراني) بلغ مبلغًا كبيرًا من التوتر والإصرار، ولن يتردد في إحكام الحصار والقصف المجنون. فهل نحن مستعدون للدفاع عن ثورتنا ولدفع ثمن الحرية الثقيل؟

-٦-

كلمة قالها لي مجاهد من الزبداني أمس: الموت بالقصف أفضل من الاستسلام. إن موتًا معجَّلًا تحت الأنقاض خيرٌ لنا من موت بطيء في سراديب العذاب، وإن الصبر على القصف والجوع والحصار أحبّ إلينا من أن نتعفّن ويأكلنا الدود في معتقلات النظام.

لقد حمل شعبُ سوريا الأبيّ الكريم مشعلَ الحرية وقطع به الشوط الطويل، وثبت وصبر وقدّم من التضحيات ما عَجّبَ وحيّرَ أهلَ الأرض. لن يدَعه اليوم بعد كل الذي كان، لن يستسلم ولن يَهِنَ ولن يَلين؛ هذا الشعب العظيم حتمًا سيكمل الطريق.

عقيدة المسلم (١٩)

الدعوة (*)

مصطفى لطفي المنفلوطي

ما من قائم يقوم في مجتمع من هذه المجتمعات البشرية داعيًا إلى ترك ضلالة من الضلالات، أو بدعة من البدع، إلا وقد آذن نفسه بحرب لا تخمد نارها، ولا يخبو أوارها حتى تهلك، أو يهلك دونها.

ليس موقف الجندي في معترك الحرب بأحرج من موقف المرشد في معترك الدعوة، وليس سلب الأجسام أرواحها، بأقرب منالًا من سلب النفوس غرائزها وميولها.. ولا يضنُّ الإنسان بشيء مما تملك يمينه ضنَّه بما تنطوي عليه جوانحه من المعتقدات، وأنه ليبذل دمه صيانة لعقيدته، ولا يبذل عقيدته صيانة لدمه، وما سالت الدماء، ولا تمزقت الأشلاء في موقف الحروب البشرية، من عهد آدم إلى اليوم إلا حماية للمذاهب، وذودًا عن العقائد.

لذلك كان الدعاة في كلِّ أمة أعداءها وخصومها؛ لأنهم يحاولون أن يرزؤوها في ذخائر نفوسها، ويفجعونها في أعلاق قلوبها.

الدعاة أحوج الناس إلى عزائم ثابتة، وقلوب صابرة على احتمال المصائب والمحن التي يلاقونها في سبيل الدعوة؛ حتى يبلغوا الغاية التي يريدونها أو يموتوا في طريقها.

الدعاة الصادقون لا يبالون أن يسميهم الناس خونة أو جهلة أو زنادقة أو ملحدين، أو ضالين، أو كافرين؛ لأن ذلك ما لا بد أن يكون.

الدعاة الصادقون يعلمون أنّ محمدًا ﷺ، عاش بين أعدائه ساحرًا كذابًا، ومات سيد المرسلين... فهم يحبون أن يكونوا أمثال هؤلاء العظماء أحياء وأمواتًا.

سيقول كثير من الناس: وما يغني الداعي دعاؤه في أمة لا تحسن به ظنًّا، ولا تسمع له قولًا، إنّه يضرُّ نفسه من حيث لا ينفع أمته، فيكون أجهل الناس، وأحمق الناس.

هذا ما يوسوس به الشيطان للعاجزين الجاهلين، وهذا هو الداء الذي ألمّ بنفوس كثير من العلماء، فأمسك ألسنتهم عن قول الحق، وحبس نفوسهم عن الانطلاق في سبيل الهداية والإرشاد، فأصبحوا لا عمل لهم إلا أن يكرروا للناس ما يعلمون، ويعيدوا عليهم ما يحفظون، فجمدت الأذهان، وتبلدت المدارك، وأصبحت العقول في سجن مظلم، لا تطلع عليه الشمس، ولا ينفذ إليه الهواء.

الجهل غشاء سميك يغشي العقل، والعلم نار متأججة تلامس ذلك الغشاء فتحرقه رويدًا رويدًا، فلا يزال العقل يتألم لحرارتها، ما دام الغشاء بينه وبينها، حتى إذا أتت عليه انكشف له الغطاء، فرأى النار نورًا، والألم لذة وسرورًا.

لا يستطيع الباطل أن يصرع الحقّ في ميدان؛ لأنّ الحقّ وجود والباطل عدم، إنما يصرعه جهل [بعض] العلماء بقوته، ويأسهم من غلبته، وإغفالهم النداء به، والدعاء إليه.

محال أن يهدم بناء الباطل فرد واحد في عصر واحد، وإنما يهدمه أفراد متعددون، في عصور متعددة، فيهزه الأول هزة تباعد ما بين أحجاره، ثم ينقض الثاني منه حجرًا، والثالث آخر. وهكذا حتى لا يبقى منه حجر على حجر.

الجهلاء مرضى، والعلماء أطباء، ولا يجمل بالطبيب أن يحجم عن العمل الجراحي فرارًا من إزعاج المريض، أو خوفًا من صياحه وعويله، أو اتقاء لسبِّه وشتمه، فإنّه سيكون غدًا أصدق أصدقائه، وأحبّ الناس إليه.

وبعد: فقليل أن يكون الداعي في الأمة الجاهلة حبيبًا إليها إلا إذا كان خائنًا في دعوته، سالكًا سبيل الرياء والمداهنة في دعوته، وقليل أن ينال حظّه من إكرامها وإجلالها، إلا بعد أن تتجرع مرارة الدواء، ثم تشعر بحلاوة الشفاء.

الدعاة في هذه الأمة كثيرون ملء الفضاء، وكظة [الكظة: البطنة] الأرض والسماء، ولكن لا يكاد يوجد بينهم داع واحد؛ لأنّه لا يوجد بينهم شجاع واحد!

أصحاب الصحف وكتاب الرسائل والمؤلفون وخطباء الجامع وخطباء المنابر، كلُّهم يدعون إلى الحقّ، وكلُّهم يعظون وينصحون، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن لا يوجد بينهم من يستطيع أن يحمل في سبيل الدعوة ضرًّا، أو يلاقي في طريقها شرًّا.

رأيت الدعاة في هذه الأمة [إلا من رحم الله] أربعة:

- رجلًا يعرف الحقّ، ويكتمه عجزًا وجبنًا، فهو ساكت طول حياته، لا ينطق بخير ولا شرّ.
- ورجلًا يعرف الحقّ وينطق به، ولكنه يجهل طريق الحكمة والسياسة في دعوته، فيهجم على النفوس بما يزعجها وينفرها، وكان خيرًا له لو صنع ما يصنعه الطبيب الماهر الذي يضع الدواء المرّ في (برشامة)؛ ليسهل تناوله وازدراده.
- ورجلًا لا يعرف حقًّا ولا باطلًا، فهو يخبط في دعوته خبط الناقة العشواء في بيدائها، فيدعو إلى الخير والشرّ، والحقِّ والباطل، والضارِّ والنافع في موقف واحد، فكأنّه جواد امرئ القيس الذي يقول فيه: مكرّ مفرّ مقبل مدبر معًا
- ورجلًا يعرف الحقّ، ويدعو الأمةَ إلى الباطل دعوة المجدِّ المجتهد، وهو أخبث الأربعة وأكثرهم غائلة؛ لأنّه صاحب هوى، يرى أنّه لا يبلغ غايته منه، إلا إذا أهلك الأمة في سبيله، فهو عدوها في ثياب صديقها؛ لأنّه يوردها موارد التلف والهلاك، باسم الهداية والإرشاد، فليت شعري من أي واحد من هؤلاء الأربعة تستفيد الأمة رشدها وهداها؟!

ما أعظم شقاء هذه الأمة، وأشد بلاءها! فقد أصبح دعاتها [إلا من رحم الله] في حاجة إلى دعاة، ينيرون لهم طريق الدعوة، ويعلمونهم كيف يكون الصبر والاحتمال في سبيلها، فليت شعري متى يتعلمون ثم يرشدون؟

(*) مختصر من كتاب (مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة): الدرر السنية.

اللحظة التي توقف عندها موسى عليه السلام

أمير سعيد

هناك لحظة تحول يجد الداعية أو المفكر أو الموجه أنه مدعو إلى اعتبارها في طريقه مع الناس إلى الله، تلك لحظة لا ينبغي لها أن تتقدم أو تتأخر عن توقيتها الصحيح، حيث يؤدي التأخر عنها أو تقديمها لعواقب وخيمة لحظة يتوقف فيها المجادل عن الجدل..

أو لحظة يتحول عندها الداعية إلى الجهر بها..

أو لحظة يرى فيها الموجه أن سلوكه هذا الطريق لنهايته سيودي بمن يوجههم..

عندها يتوقف صاحب العقل والحكمة عن الاستمرار، ولو كان طريقه الذي سلكه منذ البداية صحيحًا، لكنه ليس صحيحًا في امتداده؛ إذ لكل طريق بداية ونهاية؛ فلا يعني صواب البداية أن استمرارها على الدوام دون انعطاف يصيب الحق.

الانعطاف عن الفعل الرتيب ضرورة في كثير من الأحيان، وذلك حينما لا يكون المناخ مهيئًا للاستمرار على وتيرة واحدة..

دعونا نتأمل هذا التحول من المناظرة إلى ميدان آخر من التحدي أمام الناس، برع نبي الله موسى عليه السلام في اتخاذه في لحظة رأى عندها أن الاسترسال في المناظرة أمام ملأ فرعون، وفي ظل ارتفاع منسوب الغيظ لدى فرعون حدا به إلى البدء في استخدام لغة السباب، ثم ارتفع إلى التهديد بالسجن، في صورة بالغة الدلالة على ما تقدم في مستهل سورة الشعراء، لا يسعنا إلا نقلها كاملة لتأمل هذا التدرج ثم التحول الحواري من موسى عليه السلام إلى طور آخر من وسائل تبيان الحق.

يقول عز وجل:

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾
فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ
أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا
وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ
فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ
فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ
لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ
إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ
جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء:
١٥-٣٤].

كان النقاش متدرجًا، ولم ينزو فيه الكليم عليه السلام في نقاشه مع فرعون، بل خاطبه بكل قوة جهرًا بالرسالة، واستنقاذًا لبني إسرائيل، وإلزامًا لفرعون الحجة بشأن العبودية التي فرضها على بني إسرائيل ثم منته بهذه العبودية عليه وعليهم؛ عبورًا بالتعريف بالخالق عز وجل، وبعض آثار قدرته سبحانه، مكانًا (السماوات والأرض)، (المشرق والمغرب)، وزمانا (آبائكم الأولين)..

ثم أتت اللحظة الفاصلة..

تلك التي لابد أن يدركها وينتبه له كل داع، ومفكر، وصانع رأي، فالاستمرار على نحوٍ واحد وإن كان محمودًا في بدايته، فالتأخر عن التحول عنه قد يجر إلى مصيبة.. فماذا لو تأخر موسى عليه السلام؟ أكان يمكن للباطل أن ينكشف في يوم الزينة؟ أكان لفرعون أن ينكسر، ويبدأ عده العكسي سريعًا لمغادرة التاريخ؟

إن الصمود حتى انزهاق النفس أو السجن ليس دومًا بطولة، بل قد يكون رعونة إذا ما واتت العالم أو الداعية أو الموجه وسائل أخرى لإظهار الحق دون هذا الثمن، أو به، لكن بانتشار أكبر وظهور أعلى.. وليس ببطولة إذا كان بالإمكان التمهل ريثما تتاح فرصة أخرى بالتراجع لخطوة وبالصبر لتجنب الأشد خسارة وللحفاظ على ما استقر من مكتسبات لا ينبغي أن يُفرط فيها.

لقد ظل انعدام هذه الرؤية لدى كثيرين مدعاة لدفع أثمان باهظة فيما لا طائل حقيقيًا وراءه، عدا ربما تحقيق بعض المكتسبات الظرفية أو الذاتية التي يمكن أن تكتب لأصحابها في أخراها أو دنياها من دون أن ينعكس ذلك أثرًا بالغًا في مسيرة المؤمنين.

حصل كثيرون على ألقاب «شهداء» بين الأنام، لكن مصطلح «الانتصار» ذاته ربما غاب وسط تقديرات طائشة غفلت عن لحظات مصيرية، وتحولات استحقاقية، نفد وقتها.. إذ إن البعض تأسره من معاني الانتصار تلك التي يتحقق فيها الجانب المعنوي وحده على النحو الذي تحقق لأهل الأخدود، ظانًا أن ذلك كافيًا في كل حال، ولو تيسر ما هو أشمل.

لا، إن التقدير الشامل، واختبار الأرض التي يقف عليها الدعاة أمر ضروري لا فكاك عنه لم أراد أن يستلهم خط الكليم موسى عليه السلام، أما دونه، فضرب من ضروب العشوائية والرعونة المذمومة.

شـــذرات

قال شريح رحمه الله: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني»

[سير أعلام النبلاء].

لا يُفسد القلب مثل الرياء، ولا يُطهّره مثل عبادة السر.

الشيخ عبد العزيز الطريفي

أخـــلاق وآداب

الإيثار شعار المفلحين

فكري حسن إسماعيل

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

هذه آية من الذكر الحكيم، تخبر عن أعظم الفضائل التي جمعتْ خلال الخير وشمائل البرِّ، ألا وهي فضيلة الإيثار والبذل في أوجه الخير؛ رعاية في حقِّ المجتمع، ورغبة في مجد الوطن، ثم جاءت الآية الثانية؛ لتوضِّح جزاء هؤلاء الذين يحبون الخير لإخوانهم، ويحبونه لمجتمعهم الذي يرقى ويَسعد بهم.

لقد كان الإيثار في الإسلام خُلقًا يجعل المؤمن يجودُ بنفسه وماله، ومن هنا وضَّح القرآن الكريم أهمَّ صفات الأنصار في المدينة المنورة بالنسبة لإخوانهم من المهاجرين؛ فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فصاحب العقيدة لا يَبخل بعزيز لَدَيه في سبيل عقيدته وحماية شريعته؛ لذلك عقَد الله البيعة مع عبادة المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

والإيثار هو حبُّ الخير للناس جميعًا، ونشر الإخاء ونبْذ الأهواء، وهذه هي الدعائم التي تُسعد الأفراد، وترفع شأن المجتمعات، وهي أساس الخير وسبيل الإصلاح، الإيثار رمز المحبة والوفاق، وعنوان الرحمة والوئام والاطمئنان، به تقوى الروابط، وتتوثّق المودَّة، وتسود السكينة والطمأنينة، وتَعلو الكلمة الخَيِّرة، وتعمُّ النعمة والرحمة، فتنعم الأمم بحياة طيبة، وعيشة راضية؛ ولذا فقد امتدَح الله -تعالى- الأنصار الذين آثروا إخوانهم من المهاجرين على أنفسهم، وجاؤوا لهم بأموالهم وأرزاقهم عن طيب خاطر، فطيَّب الله قلوبَهم، وأثنَى عليهم في كتابه العزيز، ومنَحهم الله في الدنيا والآخرة وسامَ الفلاح والفوز بالجنة، فقال الله تعالى في حقهم: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

لقد نَمَا هذا الخُلق الكريم، وانتشَر في المجتمع الإسلامي الأوَّل؛ حتى كان شعارًا لهم، ورمزًا لإيمانهم، تروي كتب السيرة أن أحدَ المسلمين جُرِح في إحدى الغزوات، فطلب شربة ماء، فسارَع إليه أخوه بها، فسمِع الجريح أنَّ جريحًا آخرَ يطلب الماء، فآثره على نفسه، وهو في أشد الحاجة إلى الماء! ما الذي دفَع هذا المسلم الجريح إلى هذا الإيثار؟

إنه الإيمان القوي، إن حبَّه لأخيه لَم يَدعْه يفكِّر في ذاته، ولا أن يؤثر نفسه على غيره، وهكذا كانت أخلاق المهاجرين والأنصار، لا تعرف الأنانية ولا حبَّ الذات، وإنما تحقق الأخوَّة الإسلامية تحقيقًا كاملًا، بل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فأخوَّة الدين أعلى وأرْقَى، وأشمل وأوسع من أخوَّة النَّسَب، فالمؤمن أخٌ للمؤمن في كل مكان فوق هذه الأرض، يُناصره ويشدُّ من أزْره، فيطعمه من جوع، ويمدُّه بالمال إذا احتاج، ويُغيثه إذا كان في حاجة إلى الغَوْث والنَّجدة.

إنَّ العيب كل العيب، والتعاسة والشقاء، أن يكون الإنسان عبدًا لأمواله، تستخدمه ولا يستخدمها، ويمرض بها ولا تكون له شفاءً، هذا المرَض المتمثل في الحرْص على جَمْعها، والشح في إنفاقها، والحب في كَنْزها وادِّخارها، جعَله يفضِّل الدنيا على الآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٩ - ٢٠].

إن الرجل التعيس هو الذي لا يتحرَّى الحلال في جمْع ماله؛ لأن حبَّه لجمع المال هيْمَن على جوارحه، بغضِّ النظر عن مصادر هذا المال، ألْهَاه الطمعُ، وشغَله الحرْص، فعبَد المال، ونَسي أنَّ المال مالُ الله تعالى وهذا ما حذَّر الله منه حين وصَف المؤمنين الذين يحبون بيوت الله تعالى ويذكرون الله بالغُدو والآصال.

فقال الله تعالى عنهم: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

هذا التعيس الذي حذَّرنا القرآن منه هو مَن عبَد المال؛ قال الله في حقِّهم: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، لا يجود بالمال وقت الشِّدة والحاجة، ولا يسخو به في إقامة المشروعات النافعة التي يعود أثرُها على أبناء المجتمع، ويعمُّ خيرُها أبناء المجتمع، ولكن للأسف الشديد يبذر ما تحت يديه في الشهوات والملذات، ورُبَّما بعثَر ماله على موائد القمار والدمار، ويبخل بها في مواطن الشرف والعزَّة والكرامة، لقد ذمَّ رسول الله ﷺ هذا الصِّنف من الناس، وحكَم عليه بالخيبة والخسران، لقد وجَّه رسول الله ﷺ الإنسان وحثَّه على الانتفاع بماله؛ حتى يكون له وقاية من النار، وأرْشَده إلى إنفاقه في وجوه الخير والبر، فقال: (مَن تصدَّق بعدل تمرة من كسْب طيِّب، ولا يقبل الله إلاَّ الطيب، فإن الله يتقبَّلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبها كما يربِّي أحدُكم فَلُوَّه؛ حتى تكون مثل الجبل) متفق عليه، والفَلُو: المهر أوَّل ما يولَد من الخيل.

لقد نبَّه رسولُ الله ﷺ المسلم إلى أن ليس له من ماله إلاَّ ما أنفَقه، وما عدا ذلك، فهو تاركه للناس، ومحاسَب عليه؛ يقول ﷺ: (يقول العبد: مالي، مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكَل فأفنَى، أو لبس فأبْلَى، أو أعطى فاقتنَى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

ومن هنا شوَّق رسول الله ﷺ أبناءَ الإسلام إلى الإنفاق في أوجه الخير، وإلى الإسهام الفعَّال في بناء المجتمع، وبيَّن رسول الله ﷺ أن الإنفاق يدفع عنهم البلاء في الدنيا والآخرة، فقال:: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خَفيًا تُطفئ غضب الربِّ،

وصِلة الرحم تزيد في العُمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأوَّل مَن يدخل الجنة أهل المعروف) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أُمِّ سَلَمَة.

وكما رغَّب رسول الله ﷺ في الإنفاق في أوجه البرِّ، حذَّر من الشُّح والإمساك، فقال: (يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضْل خير لك، وإن تُمسكه شرٌّ لك، ولا تلام على كَفَاف، وابدأ بِمَن تعول، واليد العُليا خير من اليد السفلى) أخرجه مسلم عن أبي أُمامة.

فلنتق الله، ولنعلم أنَّ الأَثرة وحبَّ الذات هادمة للشرف، داعية للتَّلف، مفسدة للمجتمع، مُعطلة للعمران، فلنطهر أنفسنا منها، ونتخلّق بخُلق الإيثار الكريم. ولننهج مناهج العاملين المخلصين، للفوز مع الفائزين؛ قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم؛ حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه)، وفي رواية: (حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه) رواه البخاري، ومسلم.



السعادة الكاذبة

خالد روشه

العزة كل العزة في طاعة الله سبحانه وتوحيده، والقرب إليه، وابتغاء رضاه، والسعي في مرضاته، والتذلل له، والخضوع والخشوع، والإنابة إليه عز وجل.

والمهانة كل المهانة في معصية الله سبحانه والشرك به، والمجاهرة بالآثام، وارتكاب المنهيات والمعاصي، ونسيان الحساب، والانكباب على الفانية، والغفلة عن الباقية.

فالمرء المهان يبذل قصارى جهده في حياته ليستشعر السعادة ولا يجدها، وغاية ما يجده سراب ولذة دقائق مؤقتة تكون بعدها الحسرة والندم، فيجمع المال ليلبي حاجاته ولا يبالي من أين جمع، ويسعى للكسب ولا يبالي كيف الوسيلة، ويلف نفسه بملأ خرب، ويظل يجمع من دنياه ما يمكنه، ويحلم أن يجمع ما لا يمكنه، لا يردعه خوف من ربه، ولا يثنيه تذكر اليوم الآخر!

لكنه، وبينما هو يجمع ويجمع، ويحلم ويحلم، باحثًا عن السعادة المفقودة، واغلًا في حمأة الغفلة، يأتيه أجله، فيكون الخسران كل الخسران، والحسرة كل الحسرة، فلا سعادة ولا راحة، ولا مال ولا بنون، ولا مستقبل ولا أمل.. وإنما الحساب والجزاء والندم.. ولات حين مندم!

يموت، كأي شيء يموت، فيستريح منه الحجر والشجر والدواب.... كما في الحديث، ويترك ميراثه مما جمعه ليملكه آخرون، وما إن تمر أيام قليلات إلا ويصير طي النسيان، ويلقى جزاء عادلًا موفورًا.

ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابّ).

لا شيء سيكون وفيًا له في هذه الحياة التي صارع عليها، حتى أقرب المقربين منه، يصبح همهم ميراثه، ويصبح موته لهم سعادة وفرحة!

لقد عاش حياته مهانًا إهانة فعلية، بكل المعاني، فقد أهان نفسه ببعده عن ربه، وأهان جسده بغفلته عن العبودية وسقوطه في الإثم، وأهان عقله بإهماله غذاءه الحق من العلم والقرآن والخير، وأهان أسرته والمقربين منه بعدم نصحهم، وعدم تعليمهم الخير، وأهان حياته بإنفاقها فيما لا ينفعها بل يضرها.

إن من عقوبات الذنوب أنه سبحانه أركس أربابها بما كسبوا، وغطى على قلوبهم، وطبع عليها بذنوبهم، وأنه نسيهم وأهانهم: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِم﴾ ومن ذا يكرم من أهانه الله أو يهن من أكرم؟!

إن مشهد توديعه لدُنياه ليمثل قمة المهانة، فعن أَبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: إذَا وُضِعَت الجنَازَةُ، فَاحْتَملَهَا الرِّجَالُ عَلى أَعنَاقهمْ، فَإِنْ كَانتْ صَالحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُوني، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالحَةَ، قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَاوَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ، لَصَعِقَ) رواه البخاري.

ثم تأتيه المهانة الكبرى يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٣].

بأقلامهن

ثقافة الكساح

لبنى شرف

أقوال كثيرة وعبارات منتشرة بين الناس، يؤمنون بها وكأنها مُسَلَّمات مجزوم بصحتها، وهي على العكس من ذلك، وما أسهل أن يقتنع الناس بالأباطيل والخزعبلات والخرافات، وما أصعب أن تقنعهم بالصحيح والصواب!

«**لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع**»؛ قولٌ لا أدري من أين جاء، كثير من الناس مقتنعون به أشد الاقتناع، ولذا تراهم مستسلمون لما هم عليه من فقر، وظلم، وبؤس، وضعف، وذلة وسوء حال، ولا يحاولون أو يفكرون في التغيير؛ ففي ظنهم أن ما ينتظرهم أسوأ مما هم فيه، والمستقبل أسود كظلمة الليل، فهل يا ترى اطلعوا الغيب؟ أم يوحى إليهم؟ أم هم مُلهَمون؟

فرق كبير بين الأخذ بالأسباب المتاحة، والاحتيال لدفع الأقدار بالأقدار، فإن لم يتغير الحال، فالصبر والاحتساب والتسليم، وبين الاستسلام للواقع المر دون أدنى محاولة لتغييره؛ اعتقادًا أنه «خلّيك على المسخّم؛ بلاش يجيك الأسخم»، فهذا ليس رضا، إنما هو تفكير سوداوي مُثبِّط يائس، أصحابه يعيشون موتًا قبل الموت، وقبرًا قبل القبر.

فكم من فقير اغتنى؟ وكم من مكروب كشف الله كربه؟ وكم من مريض عوفي؟ وكم من محزون ذاق السرور ألوانًا؟ وكم من مظلوم انتقم الله له؟ وكم من أسير فك الله أسره؟ هؤلاء لو كانوا يعلمون الغيب، هل كانوا سيختارون الواقع الذي كانوا يعيشون؟

من يرفض أن يحيى حياة أكثر وضاءة ورفعة ونظافة، إن تهيأت له الأسباب لذلك؟! لقد كان ﷺ يستعيذ من الفقر، والذلة، والجبن، والعجز والكسل، وغلبة الدّين، وقهر الرجال، وسيء الأسقام، ويسأل الله العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، ويبعث في النفوس دائمًا الهمة العالية، ويقول: (اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ).

عندما كان المسلمون مضطهدين في مكة، ويراهم رسول الله ﷺ وهم يعذبون، هل كان يقول لهم: لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع؟ أما كان الغيب أن قويت شوكة الإسلام، وعزّ المسلمون، وانطلقوا ينشرون الإسلام في ربوع الأرض؟

كانوا يشكون إلى رسول الله ﷺ: (أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) رواه البخاري.

اصبر قليلًا فبعد العسر تيسيرُ
وكل أمر له وقت وتدبيرُ

ما أكثر ما يستوقفني قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، فأتفكر فيه وفي معانيه.

لا يسكنُ المرءُ في أرض يُهان بها
إلا من العجز أو من قلة الحِيَل

هناك من هو عاجز فعلًا عن تغيير حاله، ولا حيلة له، ولكن هناك كثيرون عجزهم ليس حقيقيًا، وهم يستطيعون لو أرادوا، إلا أن ثقافة الكساح التي رضعوها ونشئوا عليها تُكبِّلهم؛ كساح العقول والنفوس، والعزائم والهمم؛ ثقافة الموت والحياة في الظلام، والعيش على هامش الحياة، فالناجحون هم الذين يجابهون الحياة بشجاعة، وما تزيدهم الشدائد والمحن إلا قوة وصلابة، لا عجزًا أو خنوعًا واستسلامًا.

يقول ابن القيم: «الإنسان مندوب إلى استعاذته بالله تعالى من العجز والكسل، فالعجز عدم القدرة على الحيلة النافعة، والكسل عدم الإرادة لفعلها، فالعاجز لا يستطيع الحيلة، والكسلان لا يريدها»، وقال عن العجز والكسل: «هما مفتاح كل شر».

«فإن سُدَّت جميع طرائق الدنيا أمامك فاقتحمها ولا تقف؛ كي لا تموت وأنت واقف».

شـــذرات

هناك ايجابيات في ظاهرة الغلووالتكفيرأنها تحررطاقات الاعتدال لإعادةصياغة المجتمع وفق المنهج الوسطي الحق فالبحث عن العلاج يشتد مع اشتداد المرض.
الشيخ عباس شريفة

كثيرا ما تعني الواقعية أن تنظر إلى أدواتك وما تحت يدك ثم تبني على أساسها مشروعاتك مع التصميم على توسيع دائرة الممكن.
د. عبد الكريم بكار

هل انفرد صلاح الدين بتحرير فلسطين؟

سهاد عكّيلة

مراحل كثيرة مرت على الأمة ليست هذه أولها، وبطبيعة الحال لن تكون الأخيرة... مِحَنٌ ومِنَح.. بروز وأُفول... سُنة تسري حتى على الأمة الإسلامية ما تلبّست بأسبابها سلبًا أو إيجابًا...

سقطت القدس بأيدي الصليبيين (١٠٩٩م)، سقطت بغداد بأيدي المغول (١٢٥٨)، سقطت غرناطة في الأندلس (١٤٩٢)، هُزم العثمانيون في معركة فيينا (١٦٨٣)، احتُلّت فلسطين (١٩٤٨).

فساد الحكام واستبدادهم، غياب قيمتَيِ العدل والحرية، تفرق المسلمين واقتتالهم وتحالفاتهم مع الأعداء ضد بعضهم، تبَعية الشعوب وتخاذلها، خيانة الكثير من العلماء للأمانة، دخول الدنيا على المسلمين وانغماس حكامهم في ملذاتها، تشوّه مفهوم الإيمان واختلال التوازن بين بُعدي المادة والروح في حياة المسلمين... عوامل مشتركة كانت وما تزال السبب في السقوط المدوّي للأمة عبر التاريخ.

لتصبح المعادلة أكثر وضوحًا:

- عودة إلى الدين مصحوبة بالبناء الفكري والعقائدي والسلوكي والحضاري يتبعها نصرٌ فتمكين...
- ردّة عن الدين (وليس المقصود هنا بالضرورة خروج من الملّة) في الفكر والسلوك يتبعها انحدارٌ فانكسار فهزائم متوالية...

وهكذا كان، فبسبب من افتتان الحكّام بالدنيا.. بدأت الحروب الصليبية... وفي إطار عودة القادة إلى المنهج الرباني المتوازن اختُتمت هذه الحروب بانتصار المسلمين على الصليبيين.

وبين البدء والانتهاء كَرٌّ وفَرّ، انتصارات وهزائم، دروس وعبر...

وإثر كل هزيمة يقف العقلاء لينظروا في أسبابها وليُلَمْلموا جراحاتهم ليعيدوا البناء من جديد على ضوء تلك النتائج.. وهذا ما فعله عدد من قادة المسلمين عبر التاريخ منذ انتصار القائد ألب أرسلان في معركة ملاذ كرد على الصليبيين (٤٦٣هـ)، مرورًا بانتصار القاضي أبي بكر ابن الخشاب الذي قاد المقاومة الشعبية عندما حوصرت حلب (٥١٨هـ) بالتعاون مع أمير الموصل أقسنقر البرسقي، الذي اعتبره المؤرخون نقطة البداية الحقيقية لتحرير فلسطين لأنها شكلت نواة الوحدة بين العراق وبلاد الشام، وهكذا... استمر جهاد المسلمين ضد الصليبيين الذين تمكنوا من تأسيس أربع إمارات لاتينية في قلب العالم الإسلامي هي: الرُّها، أنطاكية، بيت المقدس، وطرابلس... إلى أن استلم عماد الدين زنكي القيادة (٥٢٢هـ) وكان ذا دهاء وقوة وتديُّن، وكانت له رؤيته الاستراتيجية في توحيد المسلمين في بلاد الشام ومصر ضمن خطته لتحرير فلسطين؛ حيث وحّد الجهود ووظف الطاقات لتحقيق هذا الهدف، فاستطاع أن يُسقط إمارة الرُّها (٥٣٩هـ)، التي شكّلت ضربة قوية لوجودهم. وبعد عماد الدين استلم الراية ابنه نور الدين عمود (٥٤١هـ) الذي اعتبره بعض المؤرخين على أنه الخليفة السادس بسبب قدرته على الجمع بين تحكيم مبادئ الشريعة ومعطيات واقعه المعاصر مع ذكاء وتقوى وتجرد عن المصالح الشخصية وحرص على بناء الحياة وفق الرؤية الإسلامية... وفي كنف نور الدين نشأ صلاح الدين الأيوبي الذي استلم الراية من بعده (٥٦٩هـ)، مكملًا مسيرة البناء الفكري والعقائدي والروحي والعسكري والسياسي والاجتماعي... مستثمرًا كل الإنجازات المتراكمة منذ عام ٤٦٣هـ إلى أن حرر بيت المقدس في رجب ٥٨٣هـ.

إذًا، لم يكن الانتصار المدوّي الذي حققه الله على يد صلاح الدين وجُنْدِه بمعزِل عن تلك العوامل التي صنعته... ومِن الإجحاف قصر تحقيق الانتصار على صلاح الدين وحده؛ وإنما اعتاد الناس على فكرة القائد الملهَم - فريد عصره وزمانه - الذي تُختصر كل الإنجازات والانتصارات بشخصه الكريم! بحيث ينسَوْن أن النتائج إنما تُبنى على مقدِّمات ممهِّدة لها، وهي مجموعة عوامل تتداخل لتشكّل المشهد بأكمله...

ولعل هذا المفهوم قد عطّل طاقات وجهود الكثيرين على مستوى الأفراد والجماعات؛ فكلٌّ لا يرى لنفسه دورًا يُذكر ما دام القائد لم يأتِ بعد، والجميع ينتظر قدومه الميمون، وقد نسي أنّ تضافر الجهود وتراكم الخبرات في مختلف مجالات الحياة يسبقها فهمٌ عميق للسنن الربانية في قوانين النصر والهزيمة.. إنما هو إعدادٌ يصنع ذلك الصعود المنتظَر.. بعدها؛ فإن وجود القائد تحصيل حاصل لبيئة أفرزته وهيأته ليستكمل جهودها ويرفع لواءها ويقودها نحو أهدافها.

وبعد، فقد آن لعقولنا أن توسّع نطاق الرؤية لتشمل جميع جزئيات وأبعاد الصورة، وتتحرر من نطاق الشخصنة وتضخيم الأفراد واختزال الأمة بهم.. وهذا بالطبع لا يطعن بالقادة أنفسهم ولا يغمطهم حقَّهم ولا ينازعهم مكانتهم اللائقة بهم، وإنما يعيد تعريف المفاهيم التي درجنا عليها ثم اكتشفنا أن الكثير منها يحتاج إلى إعادة نظر.

واحـة الشعـــر

أيها الباغي

محمد العلي

أتهدم أيها الباغـــي دياري
و مدرستي و تمعن في الدمار
اتقتل أيهـــا المجنون ثغرا
تبسم للصباح و للنهـــار
أتغتال الطفولـــة في بلادي
و تحسبها علامات انتـصار
أيا أسدا على أحـــلام طفل
و صنديدا على لهو الصغـار
أتصبح في شوارعنـا شجاعًا
وفي الجولان تهرب مثل فـار
خسئت سليل إجرام وحــقد
فأرضي بنت أفذاذ كبـــار
و تأبى الضيم لا تخشى خؤونا
تستر خلف واهية الشعـــار
فدمر ما تشـــاء بكل لؤم
تفنن في أساليب الحصـــار
فلن ترقى الى علياء شعـــب
عصيّ مثل امواج البحـــار



هاهم رجـالُ اللّه فاقرأ يا بلدْ ..... في كلّ صفٍّ (قلْ هو اللّه أحَدْ)
لا تقعدُ الدّنيـا إذا قـاموا و لا ..... تردُ الملوكُ لَوَ انّ أصغرَهم وَرَدْ
هاهمْ رجالُ الغوطتيْنِ كأنّهـــم ..... خُلقوا على قَدَرٍ جبـالاً من بَرَدْ
ليسوا سجوداً لــو نظرتَ و إنّما .... التّاريخُ فوق ثرى مناكبهمْ سَجَدْ
١٧

ولكنّي بإيماني أراها

د. عبد الرحمن العشماوي

نقـول الشامُ تشكو من أساها ... فتخبرنا العراق بما اعـــتراها
نقـول عراقُنا تشكو فـــتشكو ... لنا صنعاءُ من خَطْبٍ دهـــاها
وحـين نقول صنعاءُ استغاثت ... نرى الأحوازَ تهمي مــقلتاها
وحـين نمدّ للأحـــواز كفًّا ... تُحدّثُ ليبيا عن مبـــتغاها
وتبـرز مصـــرُ شاكيةً إلينا ... وقد قُبِضَتْ على جمرٍ يـداها
وتسـأل تونسُ الخضراءُ عنّا ... وقد عثرت بما يجري خُطاها
وتصرخ بورما صـرخاتِ رعبٍ ... وقد غامتْ بحســرتها رُؤاها
وفي هـذا الخِضَمِّ من المآسي ... تدور على أحبـــتنا رحاها
تقول لنا فلســطينُ اذكروني ... وقد ملأَ الصّدى المخنوقُ فاها
هنا الأقصى الأسيرُ هنا قلاعٌ ... يُغير الغاصـبونَ على حماها
مصائبُ بَعضُـها يقتاتُ بعضًا ... ومن أشـــلاءِ أمّتنا قِراها
نعـــم واللهِ أمّتُنا تعـاني ... مُعاناةً يُحيـــطُ بنا لظاها
تُواجِه غارةً من بـعد أخـرى ... ونَهرُ دمائها يُظمي ثراهـــا
أرى فِتَنًا تُلاحقُهـــا عِظامًا ... فيُنْسيهـــا الأوائلَ ما تـلاها
ولكني برغم جراح قومـــي ... أشاهد أمّةً جَمَعـــتْ عُراها
تحاولُ أنْ تُخَبِّئَها الدّيـاجي ... ولكنّي بإيماني أراهـــــا
أقول لأمتي صبرًا جـــميلًا ... فهذي الشمسُ يَتْبعُها ضُحاها
غدًا سنشـاهد الأنهارَ تسقي ... منابتَ نخلِنا ونرى جَنـــاها



تراجم

الشيخ سعيد حوى
(١٣٥٤هـ-١٩٣٥م / ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م)

أسرة التحرير

اسمه ونسبه:

هو سعيد بن محمد ديب حوّى النعيمي، ولد في مدينة حماة بسوريا سنة ١٣٥٤-١٩٣٥م. نشأ في عائلة معروفة، وكان والده من المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا، تعهدته جدّته بالتربية والتهذيب بعد وفاة والدته وهو في الثانية من عمره.

نشأته:

كان مولعاً بالقراءة وحفظ القرآن منذ صغره، وتولى تحفيظه سيدة كفيفة من أقربائه.

التحق بمدرسة ابن رشد الثانوية، وبدا عليه التميز في عدة مجالات أبرزها تمكنه من الخطابة، وسرعان ما التحق بجماعة الإخوان المسلمين وهو لا يزال في الصف الأول الثانوي عام ١٣٧٢ه-١٩٥٢م، في الوقت الذي كانت سوريا تموج بالتيارات الفكرية المختلفة من قومية، واشتراكية، وبعثية.

التحق بكلية الشريعة في جامعة دمشق سنة ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٦م، وتتلمذ فيها على يد كبار أساتذتها، كالدكتور مصطفى السباعي، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ فوزي فيض الله، والدكتور معروف الدواليبي، وتخرج سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

كما تتلمذ على يد كبار مشايخ زمانه كالشيخ محمد الحامد، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ عبد الوهاب دبس، والشيخ عبد الكريم الرفاعي.

التحق بالخدمة العسكرية ضابطًا في كلية الاحتياط بعد عامين، وتزوج في هذه الفترة وأنجب.

عمله في الدعوة:

عمل الشيخ سعيد حوى في التدريس، حيث سافر إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٦ه - ١٩٦٦م وعمل في تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية لأربع سنوات، ثم عاد إلى سوريا، وعمل في الدريس لثلاث سنوات إلى حين اعتقاله الذي استمر خمس سنوات من ١٩٧٣ م إلى ١٩٧٨م؛ بسبب مشاركته في أحداث الدستور سنة ١٩٧٣م التي انطلقت احتجاجًا على تغيير حافظ أسد للدستور، وخلوه من النص على أنّ الإسلام دين رئيس الدولة.

عاصر الشيخ سعيد حوى جميع أحداث فترة الاضطرابات في سوريا أثناء سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وكان مشاركًا فيها بفعالية ضد تصرفات نظام أسد، إلى أن خرج من سوريا عام ١٩٧٨م وزار عددًا من البلدان، وألقى في العديد منها الخطب والمحاضرات في سوريا والسعودية والكويت والإمارات والعراق والأردن ومصر وقطر والباكستان وأمريكا وألمانيا.

استقرت إقامته في الأردن.

وتولى مسؤولية قيادة جماعة الإخوان بعد خروجه من المعتقل، من سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م إلى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

شارك في التنظيم العالمي للإخوان المسلمين بين عامي ١٩٨٢ و١٩٨٧م.

ثم عاد إلى المشاركة في قيادة الإخوان في سورية من سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م حتى سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، حيث أجبرته ظروفه الصحية على اعتزال العمل القيادي.

كان للشيخ سعيد زيارات متعددة إلى كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية والأمريكية، وقد زار باكستان مرتين، قابل في الأولى قابل الشيخ أبو الأعلى المودودي، وفي الثانية شهد تشييعه، واجتمع بقادة الجماعة الإسلامية بباكستان، وقادة المجاهدين الأفغان.

كما سافر إلى إيران سنة ١٩٧٩ م ضمن وفد من بعض الشخصيات الإسلامية.

صفاته وأخلاقه:

عني الشيخ سعيد حوى بالدعوة إلى توحيد الأمة الإسلامية، وكان منشغلاً بها، وبإيجاد الحلول لها، كما عني بصياغة الشخصية الإسلامية صياغةً صحيحةً.

عرف الشيخ سعيد بالتواضع والزهد، والتسامح، وبساطة المظهر، والعاطفة الكبيرة، مع جرأة في الحق، وكان متدينًا، متصوفًا، حريصًا على التعبد وتلاوة القرآن.

مؤلفاته:

ترك الشيخ سعيد حوى مؤلفات عديدة، من أشهرها:

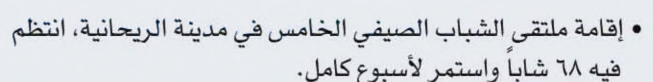
- الله جل جلاله.
- كتاب الرسول.
- كتاب الإسلام.
- الأساس في التفسير في ١١ مجلدًا.
- الأساس في السنة وفقهها في ١٤ مجلدًا.
- الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.
- تربيتنا الروحية.
- المستخلص في تزكية الأنفس.
- مذكرات في منازل الصدّيقين والربّانيين. للكتاب طبعة في عام ١٩٨٩
- جند الله ثقافة وأخلاقاً.
- جند الله تخطيطاً.
- جند الله تنظيماً.
- من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك.
- كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر.
- هذه تجربتي.. وهذه شهادتي.
- عقد القرن الخامس عشر الهجري.

مرضه ووفاته:

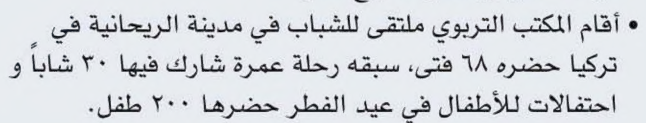
في سنة ١٩٨٧ م، أُصيب الشيخ سعيد حوّى بشلل جزئي إضافة لأمراضه الأخرى الكثيرة: كالسكر، والضغط، وتصلب الشرايين، والكلى، ومرض في العيون، فلجأ للعزلة الاضطرارية، وانقطع عن الناس، ثم أُدخل المستشفى الإسلامي بعمان، حيث دخل بغيبوبة، إلى أن توفي في غرة شعبان ١٤٠٩ ه- ١٩٨٩م، ودفن في مقبرة سحاب جنوب عمان.

من إنجازات الهيئة

المكتب التربوي:



• إقامة ملتقى الشباب الصيفي الخامس في مدينة الريحانية، انتظم فيه ٦٨ شاباً واستمر لأسبوع كامل.

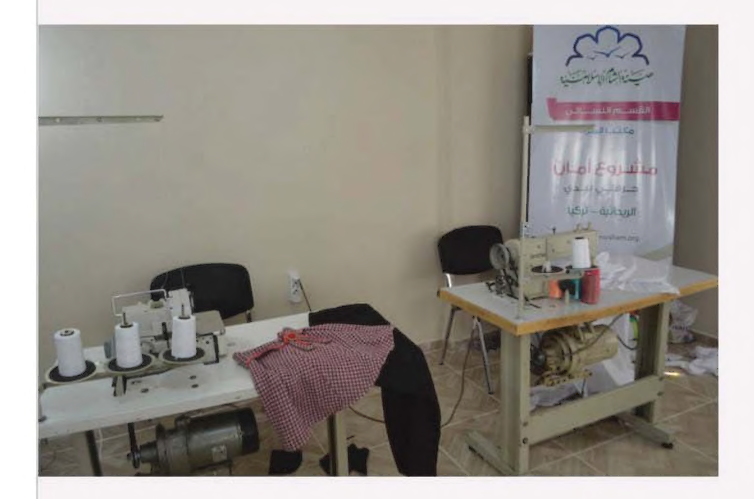


• أقام المكتب التربوي ملتقى للشباب في مدينة الريحانية في تركيا حضره ٦٨ فتى، سبقه رحلة عمرة شارك فيها ٣٠ شاباً و احتفالات للأطفال في عيد الفطر حضرها ٢٠٠ طفل.



القسم النسائي:

• أقام المكتب الدعوي النسائي حلقات حفظ مكثفة للقرآن الكريم في محافظة حمص تخللها محاضرات عن أعمال القلوب ومفسداتها، تنتظم فيها حوالي ١٠٠ امرأة.
• أقام مكتب شؤون الأطفال ملتقيات الغوطة الرابعة في أحد المساجد بالغوطة الشرقية، انتظم فيها حوالي ٢,٠٠٠ طفل وطفلة.
• يستمر مكتب المرأة في تنفيذ مشاريع أمان التنموية والتي تستفيد منها حوالي ١٠٠ امرأة في الأردن وتركيا.
• استمرار تنفيذ مشروع واحة فتيات الشام في عشرين مسجداً في الغوطة الشرقية، تنتظم فيه حوالي ٢,٠٠٠ فتاة، وهو برنامج تربوي إيماني.



جمعية الشام لتعليم القرآن الكريم:

• أنهى ١,٣٥٣ طالباً وطالبة حفظ جزء خلال شهر تموز / يوليو الماضي ضمن حلقات جمعية الشام لتعليم القرآن الكريم.
• أقامت جمعية الشام لتعليم القرآن الكريم عشر دورات تأهيلية استفاد منها ٢٥٦ معلماً ومعلمة من معلمي حلقات تعليم القرآن الكريم.
• تستمر جمعية الشام لتعليم القرآن الكريم في برنامج الدورة الصيفية المكثفة لحفظ القرآن الكريم ضمن ٤٩ حلقة داخل سوريا وفي مناطق اللجوء.
• إنجاز ٥٠ حلقة من مشروع (فبهداهم اقتده) لتدبر قصص الأنبياء، انتظم فيها حوالي ٩٠٠ شخص داخل سوريا في مناطق اللجوء.



- المكتب الدعوي:

• إجراء اختبارات المستوى الأول لمعهدي حلب وحماة لإعداد الدعاة، التي يدرس فيها أكثر من سبعين طالباً.
• تنفيذ ٥,٦٩٨ نشاطاً دعوياً من خلال ٨٢ داعية يعملون داخل سوريا وفي مناطق اللجوء، استفاد من أنشطتهم حوالي ١٨٠,٠٠٠ شخص.

